حكم مؤبد

بقلم: سارة أزهري

sudanesenovels.com

الجزء ٠١

ارتفعت أصوات الضجيج وازداد الزحام مع ازدياد حرارة الشمس، ولحظات من الترقب والانتظار تفصلني عن العالم الجديد والحياة الأخرى التي اخترتها بعيدًا عن كل ما مضى... النداء الأخير يرتفع لتنبيه المسافرين على البص المتجه إلى ودمدني والذي كنت أحد أفراده.

تحرك **جاد** بقامته الممشوقة ووسامته التي جذبت إليه الانتباه، وهو يرتدي ملابس أنيقة ويغطي عيونه بنظارة سوداء زادت من رقي مظهره الذي لا يتناسب مع جو المكان حوله في الميناء البري. وهمست إحدى الفتيات لجارتها: "الزول ده ما كان أحسن ليهو يسافر بي عربيتو، الجابرو على البهدلة شنو؟" ابتسمت وأنا أستمع لتعليق البنت على مظهري الفخم والتعليقات المتتالية المؤيدة لرأيها، لكنني لم أعِر الأمر اهتمامًا، أو هكذا حاولت أن أبدو وكأنني غير مهتم بالأمر... ولكن ابتسامة الرضا التي علت شفتي كانت توقيعًا ببداية نجاح الطريق الجديد الذي كانت بدايته الميناء البري.

انطلقت في رحلتي إلى مدينة ودمدني وتربعت في مقعدي، وبجاوري فيه شاب مراهق لم يكمل عامه العشرين بعد، والذي استرخى في كسل على مقعده وهو يومئ لي بالتحية التي رددت عليها بابتسامة مدروسة. مرت الساعة الأولى في صمت لم يقطعه إلا أصوات بكاء بعض الأطفال والمحاولات المستميتة لإسكاتهم التي لم تفلح إلا بعد مرور بعض الوقت.

وساد الهدوء لبعض الوقت إلى أن توقفت الرحلة في إحدى الاستراحات على الطريق، وترجل العديد من المسافرين من البص لقضاء بعض حوائجهم، وبقيت جالسًا في مكاني وكذلك الفتى الذي يجلس بجواري والذي أيقظه توقف البص وحركة المسافرين من غفوته... وأخرج من حقيبة اليد التي يحملها جهاز لابتوب وبدأ بنقرات سريعة من أصابعه بالعمل عليه بصورة محترفة استرعت انتباهي، خاصة أنه دخل إلى أحد المواقع الخاصة بواحد من مجموعة شركات ضخمة ومعروفة في السودان... وما هي إلا دقائق معدودة من النقر المستمر انتهت بإغلاق الشاشة وإرجاع اللابتوب إلى مكانه وابتسامة رضا تلوح على وجه الشاب تبين نجاح مقصده.

وبدأ المسافرون بالتوافد إلى داخل البص إيذانًا بمواصلته للرحلة من جديد، وقررت أن أجد مدخلًا للتعرف إليه بصورة عفوية... وبخفة أسقطت مفاتيحي على الأرض وأحدثت صوتًا استرعت انتباه الشاب الذي بادر بالتقاط سلسلة المفاتيح ومدها إلي... "أتفضل مفاتيحك..." ومددت يدي لألتقط المفاتيح من يده... "شكرًا يا..." وأسرع الشاب بذكر اسمه... "**معاذ**". وبدأت محادثة طويلة بيني وبين الشاب أكدت وجهة نظري حول الشاب بضرورة تعرفي به، وانتهت الرحلة بوصول البص إلى ود مدني وإصرار معاذ على أخذي معه إلى منزل أسرته بعد أن أخبرته أني غريب على المنطقة وأريد بدأ نشاط تجاري جديد فيها أو عمل مشروع مربح، لكن لابد لي من دراسة المنطقة على أرض الواقع قبل البدء بالتنفيذ.

وصلنا إلى منزل معاذ في حي أركويت وتهللت أسارير والدته فرحًا لدى رؤية معاذ الذي غاب عنهم لعدة أشهر متواصلة بسبب الدراسة، وأخذت والدته تسترق النظر إلي بنظرات متسائلة... "معاذ يا ولدي لي شنو الغيبة

الطويلة دي... أصلك بتقرا وين ما ياها الساعتين ولا الثلاثة ساعات دي ولا لقيت ليك شي مسكك في البلد ديك؟" "شنو يا حاجة الشوق ده... الحاج لو سمع كلامك ده بغير..." ابتسمت والدة معاذ وهي تنظر إلى أصغر أبنائها بحب... "أبوك يغير أخوك يغير والله أنت فرقتك في البيت أصلو ما بتتسد الزول الوحيد البونسني أبوك اليوم كلو في السوق ولما يجي ماسك جريدتو لحدي ما ينام وأخوك أصلو من يومو ساكت الكلام بصرفو صرف." ضحك معاذ على شكوى والدته... "أها خلاص أنا جيتك للونسه والبرامج قاااعد شهر كامل معاك أسد ليك الفات كلو..." وأحاط كتف والدته بحب وابتسمت وهي تنظر إليه... "هوي يا ولد ما تاكلني بالكلام ساي كدي النسلم على ضيفك ونكرمو بعد كده نشوف ونستك ما يطلع كلام ساي وتعديها لي كلها مساسقة لي بيت ناس فلانة..." وغمزت له والدته بعينها بكلام يبدو أن معاذ يعرف معناه جيدًا... "حبة ليك وحبة للجماعة يا أمي عشان ما تزهجي مني." رحبت الوالدة بقدومي وعرفها معاذ علي أني أحد معارفه ولم تتساءل الوالدة عني أكثر من ذلك.

دخلنا إلى ديوان الرجال المهيأ لاستقبال الضيوف في جزء منفصل من المنزل الكبير حيث كان يجلس والد معاذ الذي استقبلنا باقتضاب ثم واصل في قراءة جريدته كأن كل ما يحدث حوله لا يعنيه في شيء... وخرج معاذ قليلًا ثم عاد وبيده أكواب العصير البارد الذي كنت في أمس الحاجة إليه أكثر من أي شيء آخر. وبعد قليل ارتفع صوت والدة معاذ وهي تناديه ليحمل صينية الغداء الشهي... بقيت في منزل معاذ حتى اليوم التالي ثم استأذنت منه للذهاب إلى المنزل الذي قمت باستئجاره مسبقًا، وكان في نفس الحي... وقام معاذ بتوصيلي إلى هناك على وعد أن يأتي لزيارتي قريبًا ليساعدني فيما أتيت من أجله.

اسمي **جاد**... مسجون سابق... مهنتي النصب والاحتيال... خرجت حديثًا من السجن بعد قضاء سنة بين قضبانه وخرجت أخيرًا.

"يا جاد أنت ما قلت لي زولك ح يضرب لينا عشان نمشي نشوف العربية... مالو لي أسه ما سأل فينا؟"

مل **حامد** من طول الانتظار وهو يمني نفسه بالفوز بالسيارة البرادو بسعر جيد، ولكنه مل انتظار المكالمة التي تحدد لنا مكان تواجد السيارة لنذهب لفحصها... كان دوري في العملية أن أقنع حامد وهو أحد تجار السوق المعروفين بشراء السيارة البرادو وعرضها عليه بسعر مغري بحجة أن صاحبتها مضطرة لبيعها لظروف سفرها وحاجتها للمال بسرعة... وقمت بالاتفاق مع زميلي **سيف** على أن يقوم هو بالاتصال بنا لنذهب لفحص السيارة التي سيقوم بعرض واحدة جيدة ثم يتم استبدالها عند التسليم... وكانت فكرتي الأساسية أن نأخذ أموال حامد ونهرب دون أن يدري أي شخص بمكاننا...

لكن تأخير محادثة سيف أصابني أنا أيضًا بالقلق فلم يكن من عادة سيف أن يتأخر عن ميعاد يخص عملياتنا المشتركة، وحاولت أن أطمئن حامد على سبب التأخير رغم أنني كنت أكثر منه قلقًا. ولكن ما هي إلا دقائق معدودة وتوقفت سيارة برادو أمام دكان حامد في السوق الذي كنا نجلس أمامه، وترجلت منها فتاة فائقة الجمال، ورغم العباءة السوداء التي كانت ترتديها والطرحة التي كانت بنفس اللون والتي التفت حول رأسها الجميل بدلال سرقت أنظار الجميع في ثواني وتركت حامد يسيل لعابه عليها ومستعد لتنفيذ كل ما تطلبه منه وهو ينظر إليها بنظرات جائعة فهمت هي معناها جيدًا... نعم بهرني جمالها لكني شغلت بالتساؤل عن سيف وعن سبب عدم اتصاله، وما هي إلا ثواني حتى سمعت الجميلة وهي تسأل عني بالاسم... "لو سمحتو يا جماعة بسأل من واحد اسمو..." ونظرت إلى ورقة صغيرة تحملها في كفها... "جاد الحسيني..." توجهت إلي أنظار الجميع عند

sudanesenovels.com

سماع اسمي وهو يخرج من بين شفتيها... وأشار أحدهم إلي ببلاهة... "ده جاد البتسألي منو يا عسل..." وجهت الفتاة نظرات غاضبة ومتحدية عند سماع كلمة عسل ثم نظرت بازدراء واضح إلى الرجل الذي حاول مغازلتها على مسامع الجميع... ثم التفت إلي وهي تقول... "سيد جاد لو عندك مكان نقعد نتكلم فيهو بدل لمة الناس حوالينا... وعلى كل حال أنا جاياك من طرف سيف..." عند سماعي لاسم سيف فكرت في سؤالها عن سبب عدم حضور سيف لكن سبقتني هي بمد يدها إلي بالتلفون وهي تقول "سيف عايز يكلمك..." "سيف وين أنت لينا ساعتين قاعدين وأنت لا حس ولا خبر..." سمعت صوت سيف المتعب على الطرف الثاني من الخط... "والله يا جاد ما عارف الحصل علي شنو من الصباح الحمي تهرس فيني ولولا **مروة** كانت موجودة ما عارف كنت أسوي شنو." أخذت الجوال وتحركت جانبًا حتى لا يسمع أحد حديثي... "ودي منو الرسلتا دي... أوعى تقول لي أختك." وضحك جاد... "لاااا دي مروة ست العربية بس اعمل حسابك هي ما فاهمة حاجة عن الموضوع أنا كل الفهمتو ليها إنها توريكم العربية وترجع وأنا بتصرف بعد كده... أنا الحركة غالباني... شوف زولك ده آخر كلامو شنو عشان نتم الحكاية... بس اتجرجر ليهو شوية عشان أشد حيلي ونقدر نزوق..." "حاضر يا سيف بجرجرو ليك... خلي زولتك دي تمش وأنا بقوم بالباقي أصلو جيتها دي ح تسهل أمور كتيرة..." وانتهت المحادثة على اتفاق بيني وبين سيف على جعل الموضوع عائمًا لفترة حتى يطيب من وعكته ليستطيع الاختفاء لفترة كعادته بعد كل عملية.

بدأ حامد في فحص السيارة أو بالأحرى في فحص صاحبتها التي لم يرفع عينه من عليها طول الوقت وهو ينتهز أي فرصة ليحادثها بهدف أو دون هدف... وخيل إلي أنها قد بدأت تتجاوب معه ببعض الابتسامات والنظرات التي تحمل الكثير من المعاني... بعد ذهاب مروة بسيارتها أعلن حامد عن رغبته الأكيدة بشراء السيارة وصاحبة السيارة... وضحكت على تعبيره لكني لم أعلم جديته إلا عندما علمت منه أنه أخذ رقم هاتفها الخاص.

توالت الاتصالات الهاتفية بين حامد ومروة لعدة أيام ويبدو أنه وقع في شراكها، وخرجنا أنا وسيف خارج اللعبة تمامًا بعد أن أصبحت مروة الشغل الشاغل لحامد طيلة الأيام التالية... "يا حامد شنو طلعتونا منها... نجيب ليك البيعة لحدي عندك ودابر تاكل حقنا..." رد علي حامد في ضيق... "حق شنو يا جاد الأكلتو عليك... أنا لي أسه ما استلمتا حاجة والعربية عند ستها..." "كيف يعني أنت مش قلت لي خلصتا معاها خلاص..." وهز حامد رأسه بالإيجاب "أيوه ومروة استلمت نص المبلغ والباقي عند التسليم وأول ما استلم العربية حقك وحق صاحبك بصلك على دابر مليم."

"ي وراي... أسه كانت بتتكلم معاي وورتني بحكاية القروش... جاد أنا ضامن مروة... وأصلًا هي ما فاهمة حاجة قايلها بيعة عادية..." رددت عليه والشك يملأ قلبي... "طيب هي كده ما خربت علينا... ح نضطر نتم البيعة رسمي وما ح نستفيد حاجة..." "السبب أنا يا جاد لو ما الملاريا كان الموضوع تم زي ما نحنا عايزين بدون ما ندخل بت الناس بينا..." أحسست من كلام سيف بدفاع خفي عن مروة... يبدو أنها وصلت لقلب سيف أيضًا كما فعلت مع حامد.

الجزء ٠٢

sudanesenovels.com

مروة هربت بالمبلغ والسيارة وتركتنا في حيرة... والأدهى والأمر أنها قد أوقعت بي أنا أيضًا... اتصلت علي هاتفيًا ورددت عليها في ضيق: "أيوه يا مروة وين أنتي ليك كم يوم من حامد لي سيف ومادايرة تتمي لينا شغلتنا..." جاءني صوتها الباكي: "جاد الحقني يا جاد..." انتفضت من جلستي بعد سماعي لبكائها: "مالك يا مروة في شنو..." "العربية عطلت علي وأنا في براي والشارع فاضي وفي شباب بي عربية حاولو يتهجمو علي..." "وأنتي وين بالضبط؟" أعطتني مروة العنوان وبسرعة ركبت أول سيارة أجرة وجدتها أمامي حتى وصلت إلى المكان الذي كانت تتوقف فيه سيارة مروة... والتي كانت في حالة يرثى لها حتى أني نسيت كل ما يتعلق بالعمل وأصبح كل همي تهدأتها... وتمكنت من سحب السيارة من مكانها بعد أن بحثنا عن كل الأماكن التي يمكن أن نجد فيها من يصلح السيارة ولم نجد في هذا الوقت المتأخر والحل الوحيد كان سحب السيارة ووضعها أمام منزلي حتى الصباح... واضطررت أن أذهب ومعي مروة إلى منزلي حتى أتأكد من إيقاف السيارة أمام منزلي حتى الصباح ثم ذهبت لتوصيل مروة إلى منزلها والتي بدأت تشكي وتتزمر... "جاد حامد زولكم ده كرهني كل يوم تلفونات وكل يوم ألقاهو ناطي لي وما عارفة أتصرف معاهو كيف." "يعني ما أنتي المداه فرصة؟" ردت علي في انزعاج: "أبدًا والله لكن أنت عارف حامد لحوح كيف من أول يوم ما خلاني مشيت إلا شال رقم تلفوني... وندمت أنو اديتو ليهو." كنت ما بين مصدق ومكذب لحديثها عن حامد... لكن معرفتي به جعلتني أصدق إلحاحه الشديد عليها... أوصلتها إلى منزلها ورجعت في وقت متأخر ومع وصولي إلى المنزل سمعت صوت هاتفي وكانت مروة... "شكرًا ليك يا جاد على العملتو معاي..." وتمتمت أنا في حرج: "على شنو... ما عملتا إلا الواجب..." وكانت محادثة قصيرة جعلت قلبي يدق وأصبحت ضمن القائمة الطويلة لعشاق مروة... أصبحت أتلهف لرؤياها ولسماع صوتها... وبدأت بيننا محادثات تتسم بالود لكني لم أصرح عن مشاعري التي كانت تتزايد وبشدة تجاه مروة... إلى أن أعلن حامد عن رغبته في خطبتها فقد شارف موعد سفرها على الاقتراب.

"مروة بقيت ما قادر أبعد منك وما قادر أسكت أكتر من كده وأنا شايف حامد كل يوم بجيب في سيرتك..." نظرت إلي مروة نظرة خجولة... "أول مرة أسمعك بتتكلم كده... طواالي كلامك شغل في شغل..." أطرقت برأسي إيجابًا... "لازم أتكلم وأقول الفي قلبي قبل ما زول تاني يخطفك... لازم تعرفي مشاعري تجاهك وأعرف إذا كنت بعني ليك حاجة ولا لا... ردك ح تتوقف عليهو حاجات كتيرة يا مروة." كنت قد أصبحت لا أطيق نظرات حامد إليها وكلامه عنها وجعلني اقتراب سفرها أحس أنها ستبعد عني إلى آخر الدنيا وربما لا أراها مرة أخرى، جعلتني هذه الفكرة لا أطيق كتماني لمشاعري أكثر من ذلك... وقررت أن أغير حياتي كلها لو أصبحت مروة لي.

وطلبت أن أقابلها على غير العادة ووافقت هي دون أن تسأل عن السبب، وها هي أمامي تنظر إلي بأجمل عيون رأيتها وأنا أنتظر جوابها... "خلينا ما نستعجل يا جاد... ادينا فرصة نعرف بعض أكتر عشان تتأكد من مشاعرك..." حمل حديثها نوعًا من التجاوب الذي رقص له قلبي فرحًا... "المهم أنتي تديني فرصة عشان أثبت ليك صدق مشاعري..." وابتسمت مروة وهي تهز رأسها إيجابًا... وكدت أن أطير أنا من الفرح... وأنا لا أدري أني قد وقعت وقعت في شراكها أنا أيضًا... "يا جاد... شنو نمتا في الخط وينك ما خلصتا لينا الموضوع مع زولك ده لي أسه... مروة خلاص سفرها قرب وكلها يومين تسلم حامد العربية... ألبد ليهو عشان حقنا ما يروح..." أول مرة تطول عملية نقوم بها والسبب مروة، وبعد أن كانت عملية احتيال أصبحت مجرد عملية سمسرة عادية وكدت أن أنسحب منها لولا أنني لم أكن أطيق تعامل مروة المباشر مع حامد وسيف، لذا أجبرت نفسي على إتمام البيع وأنا في قرارة نفسي عزمت أن أتخلى عن نصيبي من السمسرة لصالح مروة... وأن تكون عمولتي من حامد فقط... وتبقي على سفر مروة يومين فقط وتم توقيع عقد البيع النهائي واستلام مروة لبقية المبلغ وكنت أنا من سيسلم السيارة لحامد بعد سفرها، وزاد انزعاجي حينما حاول حامد الانفراد بمروة والحديث معها وكنت غاضبًا جدًا لكن تركت الموقف يمر رغم أنه لم تعجبني الفرحة الظاهرة على وجه حامد... وخرجنا بعدها إلى أحد المطاعم لقضاء بعض الوقت معًا... "حامد كان بقول ليك في شنو؟" ضحكت مروة...

sudanesenovels.com

"بتين ده؟" "لما كنتو واقفين سوا بعيد مننا..." ردت مروة بهدوء... "أبدًا عرض علي الزواج..." أحسست بالدماء ساخنة تتصاعد إلى رأسي الذي كان يغلي من الغضب... "وأنتي قلتي ليهو شنو؟" ابتسمت في دلال وهي تضع كفها الصغير على يدي... "كنتا عايزني أقول ليهو شنو... طبعًا قلت ليهو خليني أفكر..." وازداد غضبي من ردها وسحبت يدي وأنا أقول... "تفكري في شنو يا مروة والكلام البينا ده كان لعب؟" ضحكت مروة... "حبيبي أنت غيران... معقولة تغير من حامد؟" لم تكن تعجبني لهجتها التي تعبث بمشاعري... "كيف ما أغير وأنتي بتقولي ليهو ح أفكر؟" تغيرت قسمات وجهها إلى الجدية... "حبيبي لازم كان أقول ليهو كده وإلا كان ممكن يتراجع ويخرب أي حاجة وأنا ما عندي زمن بعد ده لي مطاولات معاهو... بعدين أنا ما قلت ليهو موافقة كلامي ليهو بحتمل الرفض والإيجاب... وفي كل الأحوال أنا ليك أنت وبس حامد ولا غيرو ما عندي ليهم حاجة." هدأت قليلًا وأنا أسمع كلماتها التي أرضت غروري... إن كان لا يعجبني ما يدور بينها وبين حامد... "حبيبي عن إذنك أمشي الحمام وأرجع ليك..." وتحركت مروة ناحية الحمام وعندما اقتربت منه سمعت صوت هاتفها بنغمته التي بت أحفظها عن ظهر قلب.

وتوقفت مروة لترد وقد بدأ على قسماتها القلق وتراجعت نحو طاولتنا وهي تتحدث في قلق... "حاضر... حاضر يا ماما بجي عليكم أسه طوالي... أنتو خليكم جاهزين وحضري لي معاك غيار ما في زمن عشان أدخل البيت... طيب يا ماما مسافة السكة وأكون معاكم." وأقفلت المكالمة... "خير يا مروة في شنو؟" ردت مروة بصوت حزين... "والله حصلت لينا وفاة في البلد حبوبتنا ولاازم أسه نسافر وأمي وأخواتي منتظرين عشان أجي أسوقهم..." وكنت قلقًا عليها وعلى المشوار الذي لم يكن في الحسبان... "وح ترجعي بتين أنتي ناسية سفرك ولا ح تأجليهو؟" تأوهت مروة في حيرة... "ما في طريقة لي تأجيل مرتبطة هناك بي موعد معين لو فوتو يبقا ما في داعي لي سفري كلو... الوالد الله يرحمو عندو حقوق في شركة كان عليها مشاكل وأنا لازم أمشي أحضر جلسة المحكمة نيابة عن أمي وأخواتي."

"طيب ح تعملي شنو؟" سألتها في قلق... "ح أضطر أسافر الليلة وبكرا نهاية اليوم أرجع طوالي... ما في حل غير كده..." ووقفت وهي تقول... "يلا لازم أمشي أسه طوالي عشان السكة طويلة ونوصل قبل الحتة ما تضلم."

ودعتها وقلبي يمتلأ بالقلق عليها وأخبرتها أني سأحادثها لأطمئن على سلامة وصولها.

ومرت ليلتي في قلق وخاصة أنها لم ترد على اتصالاتي. ولم يهدأ لي بال حتى هاتفتني هي ورددت عليها بلهفة... "مالك ما بتردي علي... قلقت عليك..." أجابتني بصوت ناعس... "والله من ما وصلنا ما لقيت فرصة لي كلام من المعزين وزحمة الناس... وكل شوية الشبكة تقطع يا دوب أسه بعد الناس نامو حتى قدرت أكلمك..." "النوم طار من عيوني يا مروة خفت يكون حصل ليكم حاجة في السكة..." "لاا حبيبي نحنا كويسين ووصلنا بالسلامة وإن شاء الله بكرة أكون في الخرطوم بس ما تقلق لو لقيت تلفوني مقفول لأني نسيت أشيل الشاحن وأكيد ح يقفل... لو ما لقيت شاحن ح أحاول أتصل عليك من أي تلفون تاني ولو ما قدرت... أول ما أرجع بكلمك حتى لو وصلتا الفجر."

مر اليوم الأول ثم الثاني وأنا في انتظار اتصال مروة دون فائدة وهاتفها مغلق... ربما وصلت متأخرة ولم تستطع الاتصال بي... وغدًا مساء ميعاد سفرها... هاتفني حامد وهو يسأل عن مروة في قلق واضح وسألني إذا كانت قد عادت من العزاء... وأخبرته أني لا أعرف فهي لم تعاود الاتصال بي منذ كنا معه... كذبت عليه حتى لا يشك في شيء لكنني كنت غير مطمئن فمن أين علم حامد بأمر العزاء هل هاتفها هو... لما لم تخبرني... وأبعدت الوساوس عن رأسي فربما كان يطمئن على الموعد الذي سيستلم فيه السيارة.

sudanesenovels.com

وجاء اليوم الثاني حتى الظهيرة ولا جديد عن مروة... وأصابني القلق فقررت الذهاب إلى منزلها لاستبيان الأمر... وصلت إلى المنزل الذي تسكن فيه ووقفت لفترة وأنا أدق الجرس حينًا وأطرق الباب أحيانًا أخرى دون مجيب... حتى توقف أحد المارة الذي مر بي منذ قليل لبعض شأنه ويبدو أنه عاد مرة أخرى.

"السلام عليكم..." "عليكم السلام." بادر الرجل بالسلام ورددت عليه... "لو عايز الزول المسؤول من البيت أمشي لي المغلق الفي طرف الشارع واسأل من علي..." ثم تحرك الرجل دون أن ينتظر ردي وتركني وأنا لا أفهم ماذا يقصد بالضبط لكنني قررت الذهاب إلى المغلق وملاقاة المدعو علي.

"لو سمحتو وين علي؟" سألت الصبي الجالس أمام المغلق... "علي مشا صلاة الضهر في الجامع شوية وبجي..." وسألته "طيب ممكن انتظرو؟" ولم يمانع الصبي وجلسنا نتجاذب أطراف الحديث حتى يرجع علي من الجامع... "جيت أسأل من الجماعة الساكنين في البيت الفي الشارع الوراكم..." "ياتو بيت قصدك؟" سألني الصبي... "بيت ناس مروة الطيب..." حاول الصبي أن يتذكر الاسم... "ما بعرف واحدة بالاسم ده أنت متأكد أنك في المكان الصحيح يمكن تكون قاصد الحي الورانا..." فهززت رأسي نفيًا... "لا أنا متأكد لأنو جيت قدام البيت كم مرة بس ما دخلتا... ودقيت الباب ما في زول جاني... وفي واحد من الحلة قال لي لو عاوز تسأل أمشي لي علي في المغلق... هو علي قريب الجماعة ديل ولا شنو؟" وقبل أن يجيبني الصبي ظهر رجل في أوائل الأربعينيات ويبدو أنه علي لأن الصبي نادى عليه من بعيد... "يا عم علي الزول ده راجيك من قبيل..." ووصل علي صافحني بحرارة... "أهلًا أهلًا... اتفضل يا أستاذ..." "شكرًا يا عم علي..." "خير أي خدمة أقدمها ليك يااا..." "أنا جاد اسمي جاد وبسأل من ناس مروة الطيب..." ردد علي الاسم في استغراب... "مروة الطيب... منطقتنا دي ما فيها إلا زول واحد اسمو الطيب وما عندو بنات أولاد بس..." فقرنت سؤالي بوصف البيت وكلام الرجل الذي طلب مني أن أحضر إلى هنا... "اااا أنت قصدك بيت حسن الإمام." فقلت له... "والله أنا ما بعرف الناس كلهم بعرف بس بتهم مروة... عندها شغلة معانا... عايزين نتمها وما لامين فيها."

وعرفنا أنو عندهم وفاة في البلد. فضحك علي وقال... "أوعى يكون أنت زااتك من الجماعة الغشوهم..." ووقع قلبي عند سماع جملته... "قصدك شنو؟" وسألني علي عن مروة وعن شكلها. وقت بوصفها علي أدق صورة... وهنا قال علي... "إن شاء ما يكون عندك شي عند البت دي." قلت بقلق... "ليه في شنو؟" ورد علي... "والله يا ولدي البيت البتسأل منو ده بيت حسن الإمام ود عمي وهو مسافر برة وأنا مسؤول من إيجارو... وقبل فترة جات بت وأمها أجرو البيت وأول امبارح البت جابت لي المفاتيح وقالت هم خلاص مسافرين وأنا صدقتهم وشلت منهم المفتاح على كده... ومن أمس كل شوية زول يسأل عن البت دي بس بي اسم مختلف."

رجعت منزلي وأنا غير مصدق هل يعقل أن تكون مروة محتالة... لابد أن هناك سوء تفاهم في الأمر... وهاتفت سيف على أحد عنده إجابة لسؤالي لكن علمت منه أنه لا يعلم شيء عن مروة وتفاصيلها الشخصية وتوالت اتصالات حامد الذي شك في تأخير مروة عن موعد سفرها... وعلمنا أن تلك المحتالة لعبت بعقولنا وبعواطفنا وأخذت ثمن السيارة وهربت... أنا المحتال الذي خدعت نصف العاصمة تخدعني مروة... وتعالت أصوات سيارة الشرطة وما هي إلا دقائق حتى سمعت صوت طرقات عنيفة على الباب... وفتحته بسرعة لأفاجأ بالشرطة في بيتي أنا... وعلمت أنها أوقعت بي في شرك لا فرار منه.

sudanesenovels.com

لأول مرة أقع في براثن الشرطة... ولأول مرة لم أكن مذنبًا لكن كيف لي أن أثبت براءتي وقد التزمت لحامد بتسليمه السيارة... والسيارة وصاحبتها لا أثر لهما... حتى سيف لم يعرف لها طريقًا رغم بحثه المتواصل عنها... وظنت الشرطة أنني شريكها الذي هربت وتركته ليتحمل وحده التبعة... فقد شهد الشهود بوجود السيارة أمام منزلي عدة مرات في ساعات متأخرة من الليل... والمحادثات الهاتفية المستمرة بيننا... كل هذا كان من الممكن أن تتم تبرأتي منه لكن توقيعي على العقد وإقراري بأنني من سيسلم حامد السيارة هو ما رماني في السجن لأكثر من تسعة أشهر فشلت معها كل الوساطات مع حامد لفك أسري... وحاول والدي أن يساعدني لكن عندما اعترفت له بجرائمي السابقة التي لم تعلم عنها الشرطة شيء غضب وقاطعني ولم يعد لزيارتي مرة أخرى... وكان كل نصيبي منه المحامي الذي أوكله لمتابعة قضيتي.

السجن وما أدراك ما السجن... تجربة لن أكررها مرة أخرى مهما حدث... لذا قررت التووووووبة... من أول يوم في السجن رأيت كل أنواع المصائب التي في الدنيا... تعرفت في اليوم الأول على شاب ظريف وضحوك وبعد يومين اكتشفت أنه... بمجرد الصدفة عندما استدعاه أحد المساجين باللفظ الصريح... وقررت ساعتها أن أبتعد عن كل الظرفاء بعد عدة أيام حدث شجار كبير أثناء الإفطار وأصيب فيه رفيق الحلبي بطعنة سكين كادت أن تودي بحياته ومن طعنه شقيقه مجدي الحلبي... نزيلان في السجن منذ عدة أشهر نتيجة اعتداءهما على والديهما وزوجته... أما مروجي المخدرات فقد ظننت أنني إذا رفعت وسادتي لوجدت تحتها أحدهم... كل هذا لم يكن السبب في إصراري على التوبة ولكن السبب الأساسي هو تلك الليلة التي مرض فيها شاب قوي البنية سريره يجاور سريري وعندما أصبح الصباح كان ميتًا... وكنت أنا مرعوبًا... هل سيأتي يوم وأموت وحيدًا في زنزانتي... لاااا لن أعود إلى السجن أبدًا.

مرت الأيام بطيئة وأنا أتجنب المساجين لكن مع مرور الأيام استطعت التأقلم على وحدتي حتى أنقذني منها أحلى خبر... أنه قد تقرر إطلاق سراحي أخيرًا... والسبب اعتراف مروة بأنها هي وحدها من قامت بخداع الجميع بما فيهم أنا... طول الفترة التي قضيتها في السجن كنت أرسم الحوارات والمشاهد التي ستحدث إذا التقيت بمروة مرة أخرى.

رأيتها... جميلة كما كانت... وابتسامة عابثة مرتسمة على وجهها وهي تنظر إلى المحقق. ولم تنظر إلي كأنني لا أعني لها شيء... تمنيت أن أقول كل ما بداخلي لكن انعقد لساني... ربما هو الغضب منها ربما هو الشوق إليها أو ربما هي تلك البسمة العابثة... كل ما فعلته أني صمت ولم أفعل شيء غير أني قد أجبت على كل ما طرح علي من أسئلة... وتقرر الإفراج عني وذهبت وتركتها هناك وقلبي معها.

"ما عافي منك يا جاد لو رجعت لي السكة دي تاني..." لم أكن أعلم كم يحبني والدي إلا عندما رأيت دموعه وهو يستقبلني خارج السجن... "تووووبة يا أبوي... توبة من البهدلة دي ما بعيدها تاني..." ابتسم والدي... "ما يكون كلام ساي والله ما عافي ليك لو كررتا عملتك دي تاني... مالك الناقصك شنو عشان تمشي في الدرب الكعب... عايز تشتغل براك وتبني نفسك... ما عيب لكن العيب السويتو ده." كنت مطرقًا رأسي وأنا أسمع حديث أبي... نعم أنا أصررت أن أنفصل عن تجارة والدي وأبدأ عملًا مستقلًا ولكني استسهلت المال السريع... لكن أموال الدنيا كلها لا تساوي يوم واحد وأنا في الحبس ولا مشاكله... "حاضر يا أبوي أنا نويت جادي على التوبة وكفاية الشفتو في السجن إلا أكون مجنون لو رجعت ليهو تاني." ومن هنا بدأت فكرتي في الابتعاد عن العاصمة وعن كل من عرفتهم وأن أبدأ حياة جديدة بروح جديدة... وأهم ما فيها الابتعاد عن مروة آلاف الأميال... وكانت رحلتي إلى ود مدني وبداية حياة جديدة وصداقة قوية مع معاذ.

الجزء ٠٣

ومن هنا بدأت فكرتي في الابتعاد عن العاصمة وعن كل من عرفتهم وأن أبدأ حياة جديدة بروح جديدة... وأهم ما فيها الابتعاد عن مروة آلاف الأميال... وكانت رحلتي إلى ود مدني وبداية حياة جديدة وصداقة قوية مع معاذ.

"يا جاد الحاجة مستنياك الليلة ولو جيت من غيرك ما بتريحني..." اتصل معاذ على والدته تلفونيًا وكعادتها أمرته بأن يحضرني معه على الغداء... "أوامر الحاجة مطاعة وأنا زاااتي لي يومين ما لاقيتها... لاازم أصلًا..." معاذ متعجبًا... "نفسي أعرف عملتا ليها شنو أمي دي... زمان ما عندها سيرة غيري... أسه نستني وبقت اليوم كلو جاد جاد..." ضحكت وأنا أربت على كتف معاذ... "ده سر المهنة لو وريتك أكيد ح تسرقو." وابتسم معاذ... "طيب يلا نمشي بسرعة قبل ما تغير رأيها الليلة عاملة لينا شية جاااامدة وقالت ناكلها من نارها وأنا ريقي جري خلااص ما قادر أنتظر."

مرت عدة سنوات منذ وصولي مدني وتوثقت علاقتي بمعاذ وأسرته. وبعد أن أنهى دراسته بدأ بالعمل معي... معاذ شخصية عملية وفي نفس الوقت هزلية، مرح ولطيف وخدوم، وأول شيء عرفته عنه حبه لجارته هناء التي لا يفارقها إلا قليلًا وقد تمت خطبتهم منذ فترة واقترب موعد الزواج. بدأت التجهيزات لزواج معاذ على قدم وساق وكنت أنا صديق العريس والعروس التي تعرفت عليها وعلى أسرتها بحكم علاقتي القوية بمعاذ وستحضر أسرتي من الخرطوم خصيصًا لحضور عقد القران وحفل الزفاف... وكنت أنا سعيدًا بكل هذا مع إحساس داخلي بدأ ينتابني... بدأت أحس برغبتي في الاستقرار وتكوين أسرة... لكن لازال شبح مروة في حياتي رغم أني لم أرها أو أسمع عنها منذ أن خرجت من السجن منذ أكثر من خمس سنوات... وبدأت والدة معاذ في تشجيعي على الزواج وساندتها والدتي التي أصبحت صديقتها بعد كل ما حكيته لها عن أسرة معاذ ووقفتهم إلى جانبي وارتباط شقيق معاذ بأختي بخطبة رسمية على أن يتم الزواج بعد إكمال جوري شقيقتي لدراستها الجامعية... وبدأ منزل معاذ ومنزل أهل العروس بالازدحام نتيجة لتوافد المعازيم القادمين من العاصمة لحضور العرس.

تعبق المكان برائحة الصندل المختلطة برائحة الحناء في مزيج غريب وتعالت أصوات البنات بغناء العديل والزين، وسمية خالة معاذ تضع الحناء للعريس في زيه البلدي الأبيض الجميل... والتف حوله عدد من الأصدقاء في انتظار دورهم في الحناء ومعهم امرأتان أصغر سنًا من سمية تقومان بوضع الحناء للبقية... وكنت أنا أنظر بسعادة لكل هذا وأنا أساعد في توزيع المهلبية والمديدة واللقيمات على الحضور حتى جذبتني سعدية والدة معاذ من يدي... "هي يا بنات جاد ده أخو العريس اقبضوهو للحنة لو ما ختيتوها ليهو أصلو ما تخلوهو يقوم من هنا..." وأفسح لي أصدقاء معاذ المكان بعد أن أصرت والدته على أن أضع الحناء تحت مراقبتها وهي مبتسمة وتراقبني أنا ومعاذ بكل الحب... وارتفعت أصوات الغناء وانطلقت أصوات قوية بالزغاريد والمباركة معلنة قدوم أهل العروس لحضور أول الحنن المقامة لمعاذ... وذهبت والدته لاستقبالهم وامتزجت أصوات الغناء والسلام والتهنئة لتعطي جوًا من الفرح بعد انتهاء الحناء.

sudanesenovels.com

بدأ الجميع في الاستمتاع بالحفل ووقفت أنا بعيدًا أراقب كل هذا بفرح وأنظر أحيانًا إلى كفي التي تلونت بألوان الحناء الجميلة... حتى أحسست بيد صغيرة تجذب جلبابي.

"أنا عايز بابا..." نظرت إلى الطفل الصغير الذي يقف عند قدمي وهو ينظر إلي بترقب وهو يصر على أنه يريد والده. حملت الصغير بين يدي الذي أخذ ينظر إلي بتساؤل... "أنت بابا؟" فضحكت للصغير وأنا أطبع قبلة على جبينه... "يا ريت لو عندي طفل زيك... لا يا حبيبي أنا عمو... لكن يلا نشوف وين بابا." وأخذت أتطلع إلى الجميع على أرى من يبحث عنه الصبي حتى رأيت **كوثر** وخالة العروس قادمة في اتجاهي... "الولد ده عذبنا من قبيل بنفتش عليهو وهو معاك هنا..." قلت لها وأنا أمده إليها وهو يرفض الذهاب إليها... "قال عايز أبوهو وأنا ما عرفتو ود منو..." وازداد رفض الطفل على مفارقتي والذهاب إلى كوثر التي امتلأ صوتها حزنًا... "أحيي يا ولدي... في شنو يا خالة مالك؟" وضمتت إلي الطفل بحركة عفوية ووضع هو رأسه على كتفي وهو يؤكد على رغبته بالبقاء بين يدي... "ده ولد أخوي وأبوهو مات قبل سنة وكان متعلق بيهو شديد وكل ما يشوف راجل يسألو من أبوهو..." وبدا الطفل سعيدًا وهو يلعب بطاقيتي يحركها يمينًا يسارًا وهو يضحك غير آبه لكل ما يدور حوله... "خلاص يا خالتي خليهو معاي أنا ما بخليهو ينزل من يدي ولو بكا بجيبو ليكم..." وبدأت إحدى الأغاني الشبابية وبدأ الطفل فرحًا لسماعها وأخذ يردد بعض كلماتها بصورة مضحكة جعلتنا نبتسم له... "أصلو بريد الغنية دي واليوم كلو بغنيها..." ابتسمت لها... "خلاص ح أوديهو يبشر لي العريس ويرقص شوية." وتوجهت ناحية المغنية وأنا أبشر والطفل يضحك بسعادة وهو يحاول تقليدي في كل ما أفعله... قارب الحفل على الانتهاء ونام الطفل بين يدي بسكون وكأنه لا يعنيه كل ما يدور حوله فقد نام فرحًا بعد أن رقص وغنى وطول الوقت كان يضمني بيديه الصغيرتين وهو يردد سؤاله لي... "أنت بابا؟" ويضحك في فرح.

حملته إلى كوثر التي كانت تهم بالمغادرة هي ومن معها من قريباتها ووضعته بين يديها وأنا أقبله وقد أحسست كأنني أفارق روحي... "خلي بالك منو..." وشكرتني وعيناها مغروقتان بالدموع... "كتر خيرك يا جاد فرحتا قلب نور. الليلة أول مرة يكون فرحان وبضحك كده..." ابتسمت لها... "اسمو **نور**." ردت كوثر: "أيوه ده نور ولد المرحوم أخوي."

نمت تلك الليلة وضحكات نور وحركاته الطفولية لا تفارق مخيلتي، أحببت هذا الطفل وترك في داخلي إحساسًا غريبًا وتمنيت أن يأتي الصباح على أراه مرة أخرى... ومر ذلك النهار دون أن أراه وشغلت بوصول والدتي وشقيقتي والفرحة بوصولهم شغلتني بقية ذلك اليوم... وأصبحت أنا موضوع النقاش الدائر بين والدتي ووالدة معاذ... "جاد بعد كده لاازم يعرس لو خليناهو على روحو ما بشتغل بالموضوع... نضغطو أسه عشان يشوف ليهو عروس البنات كتاااار في العرس وجاد ولد السرور بس يشاور وأنا بتم ليهو الباقي..." فرحت والدتي بكلام سعدية والدة معاذ فقد كانت تتمنى اليوم الذي تراني فيه متزوجًا... "سعدية أيدي على أيدك الولد ده أصلو ما نخليهو أكتر من كده..." سلطت الأضواء على العروسين وانطلقت الزغاريد وموسيقى الزفة معلنة بداية حفل الزفاف مع وصول العروسين وابتسامة الفرح التي كانت تعلو وجه معاذ وهو يمسك بيد عروسته الجميلة... كل هذا الجمال حولي جعلني أبتسم بفرح وسعادة حتى أحسست بتلك اليد الصغيرة التي كنت أبحث عن صاحبها منذ أول أمس، كان هو صغيري الحبيب يبتسم لي بفرح وهو يمد إلي ذراعيه كي أحمله وحملته بلهفة كأنني قد وجدت شيئًا أضعته منذ زمن طويل وانطلقت كلماته الطفولية الفرحة... "بابا العروسة حلوة يا بابا... أنا عايز أشوف العروسة."

كان لكلماته البسيطة أثرها في قلبي فهو لم ينساني ومازال يخاطبني على أني والده فضممته إلي بشوق... "حاااضر أسه نمشي نسلم على العروسة ونبارك ليهم كمان..." أخذ يعبث بشعري كعادته يبدو أنه افتقد الطاقية هذه المرة وقبل أن أتحرك من مكاني رأيتها... جميلة رقيقة لم تلوث وجهها بالمساحيق ترتدي فستان أسود ازداد جمالًا بارتداءها له ويلف وجهها الجميل الهادئ بطرحة سوداء تخفي لا تبين شعرها الذي يختفي تحت

sudanesenovels.com

حجابها... تقدمت نحو برقة ومد صغيري يده نحوها وهو يخبرها بلهفة "ماما... أنا وبابا ماشين نسلم على العروس." داعبت والدة نور يده الممدودة إليها وهي تخاطبني... "نور من يوم ما شافك وهو كل شوية يحكي عنك... أكيد عذبك يوم الحنة..." استدركت نفسي حين وجدتني أدقق فيها بنظراتي... "ما في عذاب نور نوارة الحفلة وأجمل حاجة فيها أنا من دخلت هنا كان نفسي يكون موجود..." وقاطع نور حديثنا "بابا أنا عايز أسلم على العروس." قالها بتزمر وهو ينظر إلى والدته كأنه يرجو منها أن تتركنا حتى نذهب إلى حيث يريد. "نور خليك مؤدب وتعال عشان عمو مشغول..." ومدت يدها إلى نور الذي قابلاها بنظرات رافضة ووضع يديه حول عنقي كأنه يحتمي بي... "خليهو معاي... ما وراي حاجة أعملها وح أكون مبسوط لو سبتيهو معاي..." تراجعت والدة نور أمام كلماتي وأمام نظرات نور التي ترجوها أن تتركه معي... "طيب ح أسيبكم أنا قاعدة مع كوثر هناك." ومدت إصبعها لتشير على مكان جلوسها... "ما تخليهو يغيب عن عينك ولو بكا جيبو لي..." أومأت لها برأسي موافقًا وداعبت هي شعر نور بنفس الطريقة التي يداعب بها شعري يبدو أنه ورث عن والدته بعض حركاتها... وتحركت من أمامي ذاهبًا تجاه الطاولة التي تجلس فيها بعض النساء ومعهم كوثر التي لوحت لي بالسلام.

انتهى الحفل ونور النائم على كتفي جعل ذلك الإحساس الكامن في داخلي يتزايد... وذهبت به إلى حيث تجلس والدته بجانب كوثر التي حملته وهي تشكرني... "نبارك ليك يوم عرسك يا جاد وندر علي إلا أحننك بي يدي..." كان لأحاسيسها الجياشة مكانها في قلبي فقد حفظت لي أني أسعدت ابن شقيقها المتوفى... لكنها لم تكن تعلم ما منحني له نور من سعادة وإحساس بطعم الحياة... "قرييب ح تحننيني استعدي من أسه..." وابتسمت بفرح... "ده اليوم الدايرنو ليك أنا جاااهزة بس أنت أخطب وقول داير أعرس فلانة ونحنا نتم ليك الباقي كلو..." مددت يدي لأمسك بأصابع الصغير النائم... "عروسي ح تعرفيها قريب بس أديني كم يوم نروق من عرس معاذ عشان ح أدوشكم معاي."

غادرت كوثر ووالدة نور ونور الذي خطف قلبي وروحي.

مرت ثلاثة أيام منذ انتهاء عرس معاذ وكان فكري مشغولًا ولاحظت والدتي والخالة سعدية ذلك وبدأن في التغامز... "الولد ده مالو سرحان اليومين دي... يكون شاف ليهو بت عجبتو في العرس..." عندما سمعت والدتي كلمات الخالة سعدية أسعدتها جدًا... "ياريييييت يا سعدية ده يوم المنى... خليهو يقول داير فلانة... والله أخطبها ليهو الليلة قبل بكرة..." كنت أسمع تغامزهن وأمانيهن بزواجي وكنت أنا أكثر منهن رغبة في الأمر... "شايفكم تقطعو فيني من قبيل... ودايرين تعرسو لي... رأيكم شنو أنا موافق أعرس..." انطلقت زغرودة فرح من فم الخالة سعدية عند سماعها لرغبتي في الزواج... "ده يوم المنى يوم أشوفك عريس يا ولدي... لكن دي منو الخلتك تفكر في العرس أكيييد في واحدة عجبتك..." وسألتني والدتي بلهفة... "صحي يا جاد وريني البت الدايرها منو وبي باقي يومي ده بخطبها ليك."

"أم نور." قلتها وساد الصمت ونظرات الدهشة ارتسمت على ملامح الخالة سعدية تقابلها نظرات التساؤل من ناحية والدتي... "أم نور... ده اسم عروستك؟" أما الخالة سعدية فامتلأت عيناها بالدموع... "كان أنت قاصد الفي بالي... بخيت وعديل... يا زين ما اخترت يا ولدي... **هبة** ست البنات وما في زيها..." وردت أمي وصوتها كانت واضحة فيه نبرات الضيق... "فهموني أول البتتكلمو عنها دي منو... ونور ده منو كمان؟" أمي كانت تتوقع أن أجيبها على أسئلتها لكني لم أكن أعرف لها جوابًا غير أنها أم نور قريبة زوجة معاذ وأنها دخلت قلبي الذي لم يخفق لأحد منذ أن سرقته مني مروة قبل سنين... ولاحظت الخالة سعدية حيرتي... "ولدك اختار بت تمااااام ما فيها كلمة وهي من بنات الخرطوم ما من مدني لكن ما قطعت علاقتها بي مدني كلو كلو وأي

sudanesenovels.com

حاجة بتحصل بتجي جارية..." كنت أعلم أن هذه الإجابة لم تكن شافية لأمي... "أمي هبة أرملة وعندها ولد صغير اسمو نور وزوجها أخو خالتي كوثر..." لم تتقبل والدتي فكرة ارتباطي بامرأة سبق لها الزواج ورغم مباركة والدة معاذ للأمر إلا أن والدتي لم تتقبل الفكرة وأصرت على رأيها... "لي شنو يا ولدي داير تحرق قلبي عليك الجابرك شنو تعرس عزبة... من قلة البنات ولا الخلقا ما خلق غيرها... السيرة دي ما دايرة أسمعها تاني ولو كنتا داير رضاي شيل البت دي من تفكيرك." كنت أهم بالاعتراض على كلام والدتي ولكن قاطع حديثنا صوت طرقات على باب منزل أهل معاذ حيث كنا نجلس ونتحادث وهمت الخالة سعدية بالقيام لفتح الباب لكني سارعت بالقيام بهذه المهمة... وكانت كوثر بالباب تبعتها هبة... صافحتني كوثر بحرارة أما هبة فقد سلمت علي بحياء ووقفت أنا في مكاني وأنا أراهم يتقدمون ناحية والدتي والخالة سعدية... "أها يا سعدية يا أختي ما رقتو شوية... لي يومين أقول أجيكم قبل ما أرجع الخرطوم لكن والله البيت بي هناك لي أسه ما راق..." وابتسمت الخالة سعدية وهي تصافح كوثر وهبة وتعمدت عدم ذكر اسم هبة أمام والدتي التي بدا إعجابها بجمال هبة واضحًا على عينيها وغمزتها لي... "ما شاء الله يا كوثر بناتكم بنات السرور والله أي واحدة أسمح من التانية عاد معاذ عرس والله أداهو سماحة ونسب." كانت لكلمات والدتي وقعها الطيب في قلبي فقد أدركت تمامًا مقصدها... لقد أعجبتها هبة دون أن تدري أنها من كنا نتحدث عنها منذ قليل وكيف لا تعجبها وقد كانت آية من آيات الجمال الهادئ الرزين.

ضحكت كوثر... "بناتنا سمحاااات بس خلي ولدكم يأشر ويقول داير أصلو ما بنفوتو بناتنا..." "والله أنا لو عندي بت كنتا خطبت ليها جاد وما بخليهو يمرق لي بيت تاني غير بيتنا..." فرحت والدتي بثناء كوثر... "ولدي عاااافية منو وراضية عليهو وسعيدة البتبقا مرتو."

تركت مجلس النساء وأحاديثهن وذهبت إلى ديوان الرجال واستلقيت على السرير وعاودتني ذكريات الماضي... كيف كنت وماذا أصبحت... ومروة... رغم أنها كانت السبب في سجني إلا أنني أدين لها بتوبتي وبعدي عن طريق السوء وعن النصب والاحتيال لولاها ولولا السجن لكنت الآن لا أزال آكل المال الحرام وأستغل الناس وألعب بعقولهم... لكن الحمد لله فقد أغناني بحلاله عن حرامه وأصبح لي اسم هنا في مدينة ود مدني وكونت ثروة خلال فترة بسيطة ونجحت في كل ما قمت به من عمل وأصبح لي اسم وسمعة جيدة في السوق وبين الناس... كما أني تعمدت أن يعرف الناس أني سجنت من قبل لكن ظهرت براءتي... فقد خفت أن يظهر الماضي يومًا ما ويدمر كل ما بنيته في لحظات.

استغرقتني أفكاري وذكرياتي ولم أنتبه لصوت الخالة سعدية وهي تناديني... "يا جاد... يا جاد... أجي يا بنات أمي الولد ده مشا وين؟"

أسرعت إليها... "أنا هنا يا خالة... شكلي شالتني نومة وما سمعتك طوالي..." ضحكت للخالة سعدية وهي تمسكني من يدي وتوجهنا ناحية المكان الذي تجلس فيه والدتي وتطلعت حولي لأجد المجلس خاليًا إلا من والدتي... "الضيوف مشو ولا شنو؟" ابتسمت الخالة سعدية... "آي مشو لكن كدي اقعد اسمع كلام أمك."

وجلست جوار والدتي... "أمي زعلانة ومزعلاني لكن ما بعمل حاجة من غير رضاها..." فنظرت إلي والدتي بنظرة تحذيرية "نحنا مش قلنا الكلام ده ننساهو... عليك الله تفتش للعزبات وعينك ما تشوف القمر الكان قاعد معانا..." تطلعت إلى الخالة سعدية بتساؤل واندهاش ولازالت نظرة المكر تعلو وجهها... وهي تقول... "أمك عجبتا البت الجات مع كوثر وقالت إلا تخطبها ليك... أها يا جاد رأيك شنو؟" لم أستطع منع نفسي من الضحك... وملاحظة نظرات الدهشة التي ارتسمت على وجه والدتي... "أجي يا ولدي جنيت ولا شنو كلامي ده فيهو شي يضحك... البت حلاة الدنيا عليها سمحة ورايقة وزينة سااااي وكلامها ده كلام مقعد وبي فهم أريتك لو

sudanesenovels.com

قعدتا معانا وسمعتا حديثها... برررررري من بنات الزمن ده مطيرات ومجننات... لكن البت دي عجبتني ودخلت قلبي واتمنيتها تكون مرتك..." توقفت عن الضحك وأمسكت كف والدتي وقبلتها... "يعني عجبتك البت يا أمي؟"

"آي يا ولدي عجبتني عجب شديد وإن قلت آي بكرة دي نمشي نخطبها ليك..." نظرت إلى الخالة سعدية التي قالت... "عاد ده زوق أمك وعجبها براااها أنا لا فتحتا خشمي لا قلت حاجة أها ورينا رأيك..." كنت لا أزال ممسكًا بيد والدتي... "ورأي أمي وافق رأيي ورأيك يا خالة... وبراها اختارت عروسي الأبتها قبيل قبل ما تشوفها." لم تستوعب والدتي الكلام في البداية... "أنتو بتقولو في شنو؟" وردت عليها الخالة سعدية... "البت العجبتك دي وقلتي دايراها لي ولدك ياها هبة العزبة القبيييل كلمك عنها وأبيتيها وأسه براااك القلتي عايزاها تبقا مرة ولدك... كلام خشمك وقلتي براااك." وافقت والدتي أخيرًا على هبة وأشكر الصدفة التي جعلتها تحضر في ذلك الوقت لتراها وتعجب بها وتوافق على ارتباطي بها... وتبقي أن أخبر كوثر قبل أن ترجع إلى الخرطوم... وقررت أن أخبر كوثر عن رغبتي في الزواج من هبة... وكانت هذه هي العقبة الثانية فقد كنت خائفًا إلا توافق أن تتزوج أرملة شقيقها مرة أخرى... وماذا لو لم توافق صاحبة الشأن عند هذه النقطة التي وصل إليها تفكيري كدت أن أشعر بالضياع لولا أنني قد تمالكت نفسي وقررت أن أفعل كل ما يمكن لتصبح هبة زوجتي ويصبح نور... نور حياتي.

في المساء ذهبت إلى منزل كوثر التي كانت تقطن قريبًا من منزل هناء ابنة أختها التي تزوجها معاذ صديقي... لم أكن أعرف ما الذي سأفعله غير أنني سأخبرها عن رغبتي في الزواج من هبة وأن أطلب مباركتها لهذا الزواج... وبعدها أطلب مقابلة هبة إذا تم الأمر كما أريد.

الجزء ٠٤

كيف أخبرها لا أدري لكن عزمت أن أفعل وقررت الذهاب إلى منزلهم بعد المغرب وكعادتها استقبلتني كوثر بحرارة واندفع نور ناحيتي مهللًا بفرح... "بابا جا... بابا جا... أنا مشتاق ليك يا بابا..." نور وكلماته التي تجعلني أحس بأنني أسعد إنسان في هذه الدنيا وأنا أرى نظراته المبتهجة والفرحة بقدومي... وجعلتني كلمة "مشتاق" أحس بالدمع يترقرق في عيوني... وحملته كما تعودت كل مرة حين ألاقيه وأخذ هو يعبث بشعري... "بابا شعرك حلو يا بابا..." وضحكنا على كلماته واحمر وجهه ثم ضحك هو أيضًا... "ادخل يا ولدي لو تابعت نور ما بخليك تقعد..." وتقدمت الخالة كوثر إلى داخل المضيفة وهي تدعوني للجلوس "اتفضل يا ولدي... كنت بسوي في شاي ومعاهو لقيمات دقيقتين أجيب الصينية وتشرب معانا الشاي... حماتك بتحبك..." وغمزت بعينها وهي تبتسم.

"اخدي راحتك يا خالتي وأنا بقعد مع نور لحدي ما تجي."

وجلست ألاعب نور حتى سبقت رائحة اللقيمات الشهية قدوم الخالة كوثر... ونزل نور بسرعة... "جابو الشاي... جابو الشاي... عمتو ماما بتحب الشاي أمشي أناديها."

"اقعد هنا يا نور ماما طلعت وأسه بتجي."

كان من حظي الجيد أنها غير موجودة حتى أستطيع أن أفاتح الخالة كوثر فيما أتيت من أجله.

"ريحة اللقيمات فتحت نفسي تسلم أيدك."

"إن شاء الله أسويها ليك يوم حنتك يا جاد، أها ما نويت لسه؟"

جاءت الفرصة لأتكلم عما أريد.

"والله نويت بس ربنا يسهل والعروس أهلها يوافقو."

"ما يوافقو مالهم بلقو زيك وين والله أنا لو عندي بت ما كنتا فوتها ليك لكن ولادتي كلها صبيان وكلهم بره البلد زول قاعد معاي منهم ما في... الله يخليها هبة هي الزول الوحيد وولدها الشايلين بي حسي بعد أبو العيال ما مات وأولادي سافرو."

وقدمت لي الخالة كوثر الشاي ومدت إلي طبق اللقيمات الشهي... "اتفضل يا ولدي الشاي ما يبرد عليك..." واحتج نور... "أنا وينو حقي تدي بابا وتخليني؟"

ونظرت إليه الخالة كوثر محذرة... "روق يا ولد أسه ببرد ليك الشاي عشان ما يحرقك ما تبقا خمجان وملهوف..."

"أنا بقيت راجل كبير بشربو حار زي بابا."

وأصر نور على أن يشرب الشاي وهو ساخن.

"نور أنا زاتي بشرب الشاي بارد عشان ما يحرقني رأيك شنو نخلي الخالة كوثر تبردو لينا ونشرب سوا؟"

سكت نور قليلًا كأنه ينوي الاعتراض على كلامي ولكنه استسلم في نهاية الأمر.

"خلاص تبردو لينا شوية."

"يا ولدي ما تخرب مزاجك بي ورا الشافع ده اشرب شاييك ساي."

لكنني طلبت منها أن أشربه كما يشربه نور، وبدأت كوثر تبرد الشاي وبدأت أنا حديثي.

"عندي طلب ونفسي ما ترديني فيهو يا خالة .وأول شي قلت أكلمك أنتي وأستأذنك فيهو."

كانت نظرات كوثر موجهة ناحية الشاي الذي أخذت تصبه من قدح إلى آخر في حركة تبادلية وتزداد معها رغوة الشاي في منظر جميل.

"طلب شنو يا ولدي ، قول أنت ما بردو ليك طلب."

"طلبي غالي وعارفو ما هين لكن لو وافقتي عليهو أكون أسعد إنسان."

وتوقفت كوثر عن ما تفعله وهي تنظر إلي باستغراب.

"في شنو يا جاد؟"

"أنا عايز أطلب يد هبة وتبقا زوجتي على سنة الله ورسولو."

وضعت كوثر الأقداح من يدها من المفاجأة وهي تخاطبني بدهشة.

"هبة مرة المرحوم أخوي... هبة بتنا؟"

"أيوه يا خالة هبة أم نور... عارف طلبي غالي لكن أنا من يوم ما شفتا نور وقلبي اتعلق بيهو وحسيت أنو حتة مني وكلمة بابا منو بالدنيا عندي والله لو قبلتو بي أكون أسعد إنسان، وأنا حبيت أكلمك أنتي وآخد رأيك قبل أم نور ما تعرف حاجة."

sudanesenovels.com

تدافعت الدموع من عيون كوثر وسكتت لعدة دقائق وهي تبكي بصمت واحترمت أنا حزنها فربما تكون صورة شقيقها المتوفى قد خطرت ببالها في هذه اللحظات، وعادت كوثر بعد قليل لتضع الشاي في الأقداح ووضعتها أمامي وحملت أنا قطعة اللقيمات وأخذت أطعمها إلى نور ثم تذوقت الشاي لأعرف إذا كان مناسبًا لنور كي يشرب منه وحملت إليه كوب الشاي ليرتشف منه قليلًا ونظرات الخالة كوثر تتابعنا بصمت وبعد أن أكمل نور نصيبه من اللقيمات.

"يا عمتو أنتي بتبكي مالك... بابا داير يعرس ماما وح نعمل حفلة كبيرة وبابا ح يجيب لي لعبات وهدوم وبابا تاني ما بمشي خلينا، ما تبكي يا عمتو لأنو أنا بحب بابا شديد وعايز نعمل عرس تاني زي عرس هنوية وبابا يشيلني ونعمل الحفلة ونرقص وأنتي زاتك ترقصي معانا."

ساد الصمت بعد كلمات نور التي لم يتوقعها أحد وابتسمت الخالة كوثر رغم دموعها التي لا زالت تسيل على خديها.

"أها يا ولدي طلبك غاااالي لكن نور أداك وأنا أديتك وأنا ما دايرة شي في الدنيا إلا أشوف نور وأمو مبسوطين، وأنت ما بتعوج عليهم... كفاية ريدة نور ليك دي براااها بالدنيا."

كانت كلمات الخالة كوثر تعني أنها وافقت لكنني كنت أريد أن أسمعها صراحة ليطمئن قلبي.

"يعني موافقة يا خالة أني أخطب هبة؟"

"موافقة يا ولدي ربنا يجعلو أبرك وعديل هبة تستاهل كل خير وأنت كمان... هبة ما فرحت من يوم الحادث المات فيهو طارق وعمتها وراجل عمتها، وإن شاء الله تضوق الفرح والسعادة معاك."

تراقص قلبي فرحًا وأنا أسمع موافقة الخالة كوثر وأخبرتها أنني قد أخبرت والدتي والخالة سعدية وأخبرتها عن رغبة والدتي في أن تصبح هبة زوجتي منذ أن رأتها عندما كنا في منزل معاذ. وطلبت منها أن تخبر هبة بطلبي وأن تشاورها في الأمر واستأذنتها أن أتكلم مع هبة قبل أن تقول رأيها في الموضوع.

"طيب يا ولدي أديني فرصة أفاتحها في الموضوع وإن شاء الله خير."

في تلك اللحظة وصلت هبة.

"ماما جات، ماما... بابا قال داير يعرسك."

ولم يترك لنا نور أي مجال فقد رمى الكلام أمام هبة بدون سابق إنذار... وفاجأ الجميع ووضعنا أمام الأمر الواقع، وقرصته كوثر.

"أنا ما قلت ليك ما تلفح الكلام من خشوم الناس الكبار."

لم تنطق هبة بكلمة وكانت تنظر إلينا بصمت ثم أسرعت لتختفي من أمامنا... ودق قلبي بعنف وخفت ساعتها أن ترفضني هبة فالمفاجأة التي فجرها نور لم تعط الفرصة للتمهيد للأمر وإيصاله بالصورة المناسبة، وأحسست أنني يجب أن أفعل شيء ما وإن لم أدري ما هو في تلك اللحظة.

"تسمحي لي يا خالة أتكلم مع هبة برانا شوية. أحسن تسمع مني ما دام عرفت الموضوع قبل ما تقول أي حاجة."

"خليني أمشي أوريها أنك عايز تتكلم معاها."

وذهبت الخالة كوثر إلى الداخل وذهب نور وراءها واختفت قليلًا ثم عادت.

"أمشي ليها يا ولدي جوه هي قاعدة مستنياك لكن هي زاتها عندها كلام اسمعو كويس وبعد كده القرار عندك وعندها إن كان علي أنا موافقة، لكن اسمع كلامها وشاور روحك قبل ما تواصل في الموضوع." رغم كلماتها

sudanesenovels.com

الغامضة إلا أنني كنت سعيدًا بموافقتها ومباركتها لارتباطي بهبة وذهبت وراءها إلى حيث تجلس هبة في داخل الغرفة وخرجت الخالة كوثر وهي تحمل نور وتركتنا وحيدين.

جلست أراقب نظرات هبة التي بدت لي مبهمة وغامضة وحزينة... كانت عيونها تحمل مشاعر مختلطة أم أنني كنت أتخيل هذا.

"ليي أنا يا جاد ، قدامك بنات الدنيا ديل كلهم لي شنو أنا بالذات؟"

سؤالها مباشر وقوي وكنت خائفًا أن لا أجيب عليه كما ينبغي لذا قررت أن أقول كل ما بقلبي ولها بعد ذلك لها مطلق الحرية أن تختار أن تكون زوجتي أو ترفض طلبي.

"هبة ما عندي إجابة محددة ليي أنتي بالذات. بعرف حاجة واحدة أنا في حياتي حبيت مرة واحدة وما حسيت أنو قلبي دق لي زول تاني من زمن إلا ليك أنتي بعد ما كنتا قايل قلبي خلاص مات ونسي الحب ما بقدر أقول حبيتك ولا بقدر أقول الجواي ليك شنو البقدر أقولو أنو لما شفتك حسيت أنو أنتي الزولة العايزة تعيش معاي حياتي تملأها علي بعد الفراغ الأنا كنتا فيهو، ما بعرف أنتي شنو ولا بعرف عنك حاجة غير أنك أم نور وأنك أرملة المرحوم طارق أخو الخالة كوثر لكن ده كلو ما بهمني بتهمني حاجة واحدة أنك تسعديني أنك تكوني في حياتي وأنك تكوني زوجتي وحبيبتي وصديقتي... ونور لو وافقتي بي أو رفضتني من أول مرة قال لي فيها كلمة بابا بقى ولدي لو اتزوجتك ولا ما حصل بينا نصيب، أنا دايرك أنتي ودايز نور يكبر قدام عيني، ده طلبي وأنتي ليك الحق توافقي أو ترفضي."

كانت هبة صامتة وهي تستمع إلى حديثي وسكت أنا بعد أن قلت كل ما أحس به بداخلي وأحسست أن دقات قلبي تكاد أن تكون مسموعة.

"في حاجات كتيرة أنت ما عارفها عني وتجي تقول دايز تعرسني ما حسيت أنك اتسرعتا مفروض أول شي تعرف أنا منو وأهلي منو، ما سألتا نفسك أنا لي شنو قاعدة مع كوثر في ما سألتا نفسك وين أهلي ليي واحدة أرملة ليها سنين وصغيرة ساكنة مع حماتها ما غريبة شوية؟"

"هبة ما في زول مكمل وأنا زاتي فيني كتير وفي حاجات كتيرة لازم تعرفيها عني لكن في كل الأحوال أنا عايزك لأني متأكد أنو مهما كان قلبي ما ح يخوني ومهما كنتي ما ح يكون فيك حاجة سيئة قدر الفيني الكل بشكر فيك وكفاية علي أنو قلبي اتفتح ليك وتاني ما في حاجة بتهمني. لكن أنتي لازم تعرفي عني أي حاجة، اسمعيني كويس وبعدها ليك الحكم."

وبدأت أخبرها عن الماضي، حياتي السابقة وفترة الضياع التي عشتها ومروة وخداعها لي. وظهورها المفاجئ بعد فترة من الزمن لتبرئني وعن لقائي بمعاذ وأنا في طريقي إلى هنا بعد أن قررت الابتعاد عن كل الماضي وكل ما فيه وعشت حياة مختلفة وفقت فيها كثيرًا إلى يوم أن رأيتها.

كانت صامتة وهي تستمع إلى حديثي وأحسست أنها لم تستغرب ما أقول ولم تعقب عليه كأن ما أحكيه لم يكن جديدًا عليها ولم تكن هذه المرة الأولى التي تسمعه فيها.

"سمعتا حكايتك يا جاد لكن فاضل أنت تسمع حكايتي، أنا والمرحوم طارق عرفنا بعض في ظروف صعبة أمي متوفية وهي كانت الزوجة التانية لي أبوي وعندو غيري بنتين وولدين كانو عايشين معاهو في خارج السودان وأنا كنتا عايشة مع عمتي وهي جارة كوثر عشان كده كانت بتعرفني من أنا صغيرة وعلاقتي بي أبوي وأخواني كانت ما بتتعدا فترة الإجازة البجو بعدوها هنا لحدي ما جات أختي الأكبر مني عشان تقرا الجامعة هنا وطبعًا الفرق بينا ما كان كبير سنتين وحصلتها وكنا في نفس الجامعة وفي الفترة دي والدي اتوفى فجأة بعد ما اتزوجت أختنا التانية الأكبر منا واستقرت في دبي مع زوجها وأخواني الأولاد كانو لسه صغار وفي المدرسة والمستوى المادي الكانو عايشين فيهو اتدهور شديد لأنهم كانو بصرفو بي بذخ لأنو دي الحياة الإتعودو عليها، أما أنا فأبوي بي حياتو أداني نصيبي من ورثة أمي وختاها وديعة في البنك بي اسمي ده غير أنو كتب وصية

sudanesenovels.com

بي اسمي غير حقي الشرعي في الورثة عشان يعوضني عن عدم وجودو في حياتي وأن و ما كان بصرف علي زي ما بصرف على أولادو وكتب لي البيت العايشة فيهو مع عمتي لأنو كان ملكو وعمتي كانت متزوجة بس ما عندها أطفال وربتني هي وزوجها الكان في مقام أبوي لكن للأسف اتوفو في حادث العربية الموت فيهو طارق وأنا كنتا ما معاهم لأنو نور كان عيان وما قدرت أمشي معاهم الوفاة المشو ليها وعملو الحادث وهم راجعين في الطريق."

الجزء ٠٥

المشكلة أنو ممتلكاتي ما كان لي الحق في التصرف فيها إلا لما أكمل ٢٥ سنة وإلا يسقط حقي فيها وتبقا وقف لي صالح الأعمال الخيرية حسب وصية الوالد.. ونصيبي من أمي يا دوب كان بكفي مصاريفي وما قدرت أساعد أخواني بي حاجة لأنو حتى نصيبي في الورثة راح ساي لأنو ما وزعنا الورثة وبقو عايشين في وضع صعب والحاجة الوحيدة الفضلت لي أخواني البيت الكانو عايشين فيهو والعربية حقت أبوي.

كانت هبة تحكي وأحسست بغصة في حلقي عندما سمعت عن سيارة والدها... وذلك الإحساس الذي راودني عندما كنت أحكي ليها عن الماضي بأنها كانت تسمع حكاية لم تكن بالغريبة عنها.. كأنها ما كانت بتسمعها لأول مرة هل يمكن أن تكون لها صلة بما حدث في الماضي.

وقاطعتها في تلك اللحظة فقد أصبح ما يسيطر علي ساعتها أكبر من قدرتي على الاحتمال.

"هبة أنتي بتعرفيني قبل كده قبل ما نتلاقا في عرس معاذ؟"

أومأت هبة برأسها إيجابًا، لكنني لم أكن أطيق ما سيأتي بعدها فربما كان أصعب مما أستطيع احتماله.

"أيوه بعرفك من زمان."

سألتها وأنا أتمنى ألا تكون إجابتها كما كنت أتوقع.

"مروة؟"

"اسمها **مايا** مروة هو الاسم الكان بناديها بيهو أبوي."

سكتت... ولم أستطع أنا أن أقول شيئًا وساد الصمت... صمت ثقيل قاتل لحظات كالجمر... مروة... لازالت هي المحرك الأساسي لكل الأحداث في حياتي لازالت تلعب بها حتى وهي خارجها.. هل يعقل أن تجعلني الأقدار أحب أختها؟

"جاد مايا ما كانت بتعرف في حياتها غير القروش وغير أنها جميلة لكن لما عرفتك بدت تميل ليك لكن ده كلو ما خلاها تغير خطتها في إنها تستغل كل الحولها عشان تلقي القروش البتعيش بيها هي وأسرتها زي ما اتعودو، ورجعت تعيش مع أسرتها لما جو استقرو في السودان بعد وفاة الوالد وتدهور أوضاعهم المالية في الغربة، ولما بدت مايا تمشي في سكة غلط عمتي لاحظت لي سلوكها وبدت تجيها شكاوي من نسوان الحي الساكنين فيهو والكانت بتعرفهم من خلال الفترة العاشتها معانا أنو مايا بتستغل أولادهم ماديًا ووصل الموضوع أنها وهمت راجل متزوج أنها ح تتزوجو وأخذت منو مبالغ مالية كبيرة وجات زوجتو وعملت مشكلة لما عرفت بالصدفة عن علاقتو بي مايا لما لقت رسايلها في تلفونو وسمعتو وهو بتكلم معاها وبواعدها، وهنا عمتي خلاص فاض

بيها لأنو مايا بقت ما بتسمع كلام زول وبتسوي الفي راسها وبس ومنعتها عمتي أنها تجينا ومنعتني من زيارتهم، وطبعًا مايا واصلت في الطريق الهي ماشة فيها وساعدها أنو شكلها أكبر من سنها وجمالها ودلالها كان بيعمي أغلب ضحاياها.. والوقت داك ما كانت وصلت لي سن الرشد عشان كده كانت معتمدة أنها ما ح تتحاسب حسب فهمها واتقطعت علاقتي بيهم وفي الفترة دي عرفتا طارق... كان أكبر مني بي ١٥ سنة بس كنت معجبة بيهو وبي شخصيتو وكان ضابط في البوليس."

"لحدي ما جا يوم واتصلت علي مايا وطلبت أنها تشوفني ضروري وكان صوتها منهار شديد وما كنتا عارفة أمشي ألاقيها كيف بدون ما عمتي تعرف.. وكلمتا طارق وطلبتا منو يساعدني وهو كان عارف كل الحاصل بي حكم أنو قعد فترة مع كوثر في البيت في الفترة السافرو فيها أولادها وبقى ما معاها زول وهو اتنقل للعمل هنا في الخرطوم بالذات في أيام مشاكل مايا، طارق وصلني ليها ولقيتها تبكي وكانت معاها واحدة صاحبتها وعرفتا منها أنو عندهم صديقة تالتة كانو ماشين في نفس السكة وصاحبتهم الراجل الحاولت تخدعو ضربها وبعد فترة اتوفت نتيجة الضرب ده، ويبدو أنو دي الحاجة الخلتها تخاف وترجع من الشي الكانت بتعمل فيهو غير أنها كانت عايشة مطاردة بي سبب القضية بتاعتك... وأمها كمان اتزوجت واحد من أهلها ورفض أنو مايا تقعد معاهم بعد عرف عمايلها دي واتقفلت عليها من كل السكك... أنا ما كنت عارفة أعمل ليها شنو ولو جبتها بيت عمتي ممكن أسبب ليها مشكلة لأنها مطلوبة في القضية بتاعتك والحل الوحيد كان أنها تسلم نفسها ونعتمد على أساس أنها لسه قاصر وكان فاضل ليها ستة شهور وتكمل سن الرشد، وطارق ساعدنا أنها تسلم نفسها وقوم ليها محامي يساعدها في قضيتها... وطبعًا سيرتك كانت بتجي كتير على لسانها لأنها كانت بتقول ده حقك عليها الوقعها في كل الورطات دي.. ويوم ما جات سلمت نفسها وجابوك أنت عشان يقارنو أقوالك بي أقوالها أنا كنت موجودة وشفتك ساعتها... بس ما كنتا قايلة الزمن ح يلف ويدور وتاني ح نتلاقا وتطلبني للزواج، قدر عجيب صحي الواحد فينا ما بعرف القدر مخبي ليهو شنو."

كنت أستمع إليها كأنني في حلم... مروة أو مايا هي أخت هبة الماضي والحاضر اجتمعا معًا في هذه اللحظة... كانت تلك اللحظة بالنسبة لي كأنها **حكم مؤبد** بأن أبقى معلقًا بين الماضي والحاضر وأن تضيع كل أحلامي وكل ما بنيته في لحظات.

"مروة وين أسه؟"

جاء سؤالي بصوت يرتجف لم أكن أستطيع التحكم فيه ولم أكن أدري هل سؤالي عنها هو اعتراف بأنها لا زالت حبي الوحيد فقد اختلطت كل الأمور في رأسي أم هو نقطة لإنهاء ما كان معلقًا في الماضي والخروج أخيرًا من دائرة مروة.

أخذت هبة نفسًا طويلًا وهي تشيح بوجهها كأنها كانت تتمنى أن أقول شيئًا آخر غير ما قلت، ثم أطرقت بوجهها ناحية الأرض.

"مايا قضت فترة مخففة في السجن وبعدها أختنا **مي** العايشة بره السودان رسلت ليها عشان تمشي تعيش معاها هي وزوجها وكان زول متفهم وقبل أنها تعيش وسطهم بالذات أنو مايا اتغيرت كتير في الفترة دي. وبقت زولة تانية وربنا أكرمها بي زول حباها. واتزوجت **أكرم** صديق زوج مي من سنتين وعندها منو ولد."

لم أكن أدري بماذا أحس في تلك اللحظات ولكن كنت أريد شيئًا واحدًا فقط... أن أذهب بعيدًا وأن أملأ صدري بهواء نقي هواء لا يحمل أنفاس مروة ولا ذكرياتها التي تخنقني.

"هبة ح أطلب منك طلب واحد."

"عايز شنو يا جاد، أظن خلاص ما فضل بينا كلام بعد العرفتو ده."

"لا يا هبة لسه في كلام بينا لكن ما ح يتقال أسه، بس عايز منك وعد."

"وعد شنو تاني يا جاد نحنا بينا ماضي أنت ما قادر تتجاوزو وأنا ما عايزة أعيش في ضل مايا... أنا زمان لما اتزوجتا طارق لأنو كل الحصل ده ما همو وحسسني أني أنا أهم حاجة في حياتو لحدي ما اتوفى... وعشان أرتبط بي زول تاني ما ح أقبل أنو يكون إحساسو بي مجرد شفقة أو إحساس أني بديلة لي صورة قديمة كانت في الماضي."

كنت أحس بما تحس به في هذه اللحظة لذا كنت أريد أن أزيح عني كل الماضي الذي برز فجأة دون مقدمات.

"أنتي بتستاهلي أنك تكوني أهم شي في حياة الزول ال ح ترتبطي بيهو لكن أوعديني أنك ما ح ترتبطي بي زول خلال فترة غيابي دي.. عارف أنها دي أنانية مني لكن أنا ح أسافر وأحاول أصفي من قلبي وعقلي كل الفات وخلال المدة دي لو حسيت أني ما قدرت أكون ليك ح أعفيك من الوعد ده... لكن ما ح أسافر قبل ما أسمع منك وعد أنك ح تنتظري المدة دي وبس."

"جاد سافر وعيش حياتك أنا أصلًا ما في زول ح يخش حياتي لأنو زي ما أنت اتحكم عليك ماضيك يطاردك أنا كمان اتحكم علي نفس الحكم المؤبد... أني أخت مايا وأني أم نور العايزني لازم يقبل بي كل جوانب حياتي لأني ما مستعدة أعيش مع زول بي وشين."

لم يعرف أحد السبب الحقيقي لسفري المفاجئ غير هبة وكوثر حتى والدتي والخالة سعدية أخبرتهما أن سفري لابد منه لأمر ضروري يخص عملي ولابد من أن أسافر فورًا. وسافرت كنت في الفترة الأولى أهيم في الطرقات وأجلس على البحر وأحاول أن أزيح عني كل الماضي... لم تكن مروة هي العقبة بيني وبين أن أعيش حياتي سعيدًا مرة أخرى ولكن كانت العقبة أني لم أحاسب نفسي على ما مضى من حياتي وظننت أنني بهروبي إلى مدينة أخرى سأمسح كل الماضي، الذي برز أمامي في لحظات.. أحسست بأنفاسي تضيق فحتى هواء البحر أصبح يخنقني كنت أحتاج إلى ما يغسل روحي من الداخل ويعيدني إنسان آخر ولكن ما هو لا أدري وأحسست أن كل ما حولي يطبق على أنفاسي ويأخذ روحي رويدًا رويدًا.

رن جرس هاتفي الذي قاطع هواجسي وهممت بأن أقطع الاتصال حتى رأيت صورة المتصل والاسم الذي ظهر مع المحادثة.. كانت صورة نور.. وكان رقم هبة.. هبة ونور.. لم أستطع أن أقاوم الرد على الاتصال رغم أني قاومت كثيرًا أن أقوم أنا بهذه المحادثة لأكثر من ثلاثة أشهر... ورددت بلهفة وجاءني صوت نور الذي لم أسمعه منذ مغادرتي للسودان.

"بابا.. بابا."

ورددت بلهفة... "أيوه يا روح بابا."

"بابا أنت ما جاي ولا شنو أنا مشتاق ليك."

"جاييك يا نور جاييك يا حبيبي."

"خلاص تعال سريع أنا مشتاق ليك يا بابا وما عايزك تخليني تاني."

"حاااااضر يا روح بابا أنا جاي وتاني ما ح نتفارق."

وأخذ نور يهلل بفرح ثم بدأ سيل من الطلبات... "عايز لعبة بوليس وعايز مسدس عشان أقبض بيهو الحرامي وعايز حبل."

هنا ضحكت وأنا أقول... "كلو عرفناهو الحبل عايز بيهو شنو يا نور؟"

سكت نور قليلًا قبل أن يقول بهدوء... "عشان أربطك بيهو وما تسافر تاني وتخليني."

sudanesenovels.com

نور كان هو نقطة التوازن التي أعادت إلي روحي ورغبتي في الحياة... أحسست أني أخيرًا أتنفس أنني حي. فرحتي بسماع صوته وكلماته جعلتني أعلم جيدًا أن البعد عنه وعن هبة أقسى من الماضي وأن الحكم المؤبد هو ما أنا فيه الآن بعيدًا عن من أحبهم.

"نور ماما جمبك؟"

"أيوه يا بابا ماما قاعدة معاي."

"أديني ليها يا نور أكلمها."

وارتفع صوت نور وهو ينادي على والدته صارخًا... "ماما.. ماما بابا عايز يكلمك."

لحظات من الانتظار وسمعت صوت أنفاسها المتسارعة التي سبقت صوتها.

"جاد."

وأسكتها قبل أن تقول أي شيء آخر.

"يا روح جاد... أنا جاي... كفاية فراق عشان ماضي انتهى... أنتي الحاضر وأنتي المستقبل وكفاية سجن أكتر من كده أنا جاي يا حبيبتي."

وسمعتها تقول بصوتها العذب أجمل كلمات.

"وأنا على وعدي ليك يا حبيبي أنا ونور منتظرين رجوعك لينا."

الخاتمة

الفرحة ورائحة الصندل والبخور وأصوات الزغاريد والخالة سعدية التي تقوم بطقوس الجرتق ومعاذ الذي يقف بجوار زوجته فرحًا وهو في انتظار قدوم طفلهما الأول، وشقيقتي التي تنظر إلي بسعادة وهي إلى جوار خطيبها ووالدتي التي تجلس بقربي وهي تراقب طقوس الجرتق والخالة كوثر التي يرتفع صوتها بالعديل والزين وشقيقات هبة مايا ومي اللائي حضرن خصيصًا لحضور زواجنا ونور الذي أصر أن يرتدي مثلي جلباب أبيض تزينه الخطوط الحمراء والذهبية وهو يجلس في حجري ويصر أن تربط له الخالة سعدية الهلال على جبينه.. كما فعلت معي... وهبة عروسي الجميلة التي يستكين كفها الصغير على كفي... وأنا وتلك الفرحة التي تغمرني وأحس معها أني قد ملكت العالم... ومايا تبتسم لنا بسعادة وهي تطلق الزغاريد معلنة فرحتها التي اكتملت الآن... وأخيرًا استطعت أنا أن أتنفس وأن أعود إليك يا دنيا.

النهاية